المحاضرة10: تجربة الطيب الصديقي وعز الدين المدني المسرحية.

أولا - الطيب الصديقي:

ربما لا تعرفه كثير من البلدان العربية، إلا في فيلم "الرسالة" الشهير، حين أدى ببراعة واقتدار شخصية الوليد بن عتبة، شقيق هند زوجة أبي سفيان، لكنه في هذا الفيلم كان عملاقاً برغم ثانوية دوره.

عبقريته المسرحية وخبرته الكبيرة، تجلتا في دوره وهو يؤدي شخصية "الوليد بن عتبة"، تلك العبقرية في الأداء التي جعلته مكروهاً لمن يتابعه لما أظهر من شر؛ بحسب ما يقتضيه أداء الشخصية، وهو ما جعله يتربع في ذاكرة المشاهد على امتداد رقعة الوطن العربي.

لكن الطيب الصديقي، ما كان سوى شخصية مهنية حمل هم المسرح في المغرب لينهض به ليكون مسرحاً بذاخاً في العطاء الثر، وهو ما جعلهم يلقبونه بـ"أبو المسرح المغربي"، بل كان من أشهر المسرحيين العرب، حتى وصل العالمية بإبداعه. في رحيله يوم الجمعة 5 فبراير/ شباط، ترجل الصديقي بصفته أحد أهم الفنانين العرب من صهوة الإبداع، تاركاً فراغاً إبداعياً لا يمكن إشغاله، في حين يبقى تاريخه الفني مدرسة ترتشف من ينابيع دروسها الأجيال.

-الطيب الصديقي.. من هو؟

ولد الطيب الصديقي عام 1937 في مدينة الصويرة بالمغرب، في بيت علم؛ تلقى تعليمه الابتدائي بمدينة الصويرة، وحصل على شهادة الباكالوريا (الثانوية العامة) بمدينة الدار البيضاء، وسافر -وهو في السادسة عشرة- إلى فرنسا لاستكمال الدراسة، فحصل على البكالوريوس في شعبة الآداب، وتلقى دورات تكوينية مسرحية قبل أن يعود إلى وطنه لاستئناف نشاطه الفني.

وبعد عودته للمغرب اشتغل الصديقي ممثلاً مسرحياً وسينمائياً، وشكل عدة فرق مسرحية. وتولى منصب مدير فني للمسرح الوطني محمد الخامس بالرباط، ثم مدير للمسرح البلدي بالدار البيضاء (1965-1977)، وعين لسنتين وزيراً للسياحة (1980-1982.(

بدأ الطيب الصديقي ممثلاً بفرقة التمثيل المغربي، سميت بعد ذلك "فرقة المركز المغربي للأبحاث المسرحية"، بعد عودته من فرنسا طلبت منه نقابة "الاتحاد المغربي للشغل" تكوين فرقة "المسرح العمالي" سنة 1957 بمدينة الدار البيضاء، وبالفعل تم ذلك وقدمت الفرقة عدداً من الأعمال.

في بداية موسم 1960-1961، طلب منه مدير المسرح البلدي بالدار البيضاء، روجي سيليسي، إنشاء فرقة تتخذ من المسرح البلدي مقراً لها، أصبحت تحمل اسم "فرقة المسرح البلدي"، ونجح الصديقي في تأسيس الفرقة وتقديم أعمال مسرحية مهمة.

ثم وضع حداً لنشاطه في المسرح البلدي في مارس/آذار 1962، وأنشأ فرقة تحمل اسمه في العام الموالي. واستقر في إحدى القاعات السينمائية (سينما الكواكب) في أحد الأحياء الشعبية بالدار البيضاء، من خلالها أخرج وألف العديد من المسرحيات.

انتقل بعدها إلى المسرح العالمي والعربي، من خلال الاقتباسات التي قدمها، وأظهر من خلالها فهمه العميق لحركة المسرح الكلاسيكي والطلائعي الجديد في العالم، وقدرته على التواصل مع أفكاره وخطابه، حيث تعامل في المرحلة اللاحقة مع التاريخ في فترات متقطعة، قبل أن يغوص في التراث الذي ركز اهتمامه عليه.

وقع على أعمال مهمة مستلهمة من التراث المغربي والعربي والإسلامي، وواكب الحركة المسرحية الحديثة بالمغرب، منذ انطلاقتها بعد الاستقلال، وعايشها عن قرب عبر كل تحولاتها وازدهارها وانتكاساتها.

ترجم الطيب الصديقي واقتبس أكثر من ثلاثين عملاً درامياً، وكتب أكثر من ثلاثين نصاً مسرحياً باللغتين العربية والفرنسية، وأخرج العديد من الأعمال المسرحية والسينمائية والأشرطة الوثائقية، ومثّل في عدد من الأفلام الأوروبية والعالمية؛ اهتم بالفن التشكيلي، وساهم في تأليف كتاب حول الفنون التقليدية في الهندسة المعمارية الإسلامية.

اشتهر بأعمال مسرحية مثل "مقامات بديع الزمان الهمداني"، و"سلطان الطلبة" و"ديوان سيدي عبد الرحمن المجذوب"، ومسرحية "مولاي إدريس"، ومسرحية "عزيزي" التي كانت آخر عمل درامي قدمه عام 2005 قبل أن يقعده المرض. حصل الطيب الصديقي على عدة أوسمة، منها وسام العرش عام 2008 وكرِّم في محطات عديدة داخل المغرب وخارجه.

وملخص مسيرته يقول إنه فنان مسرحي مغربي، ساهم في التعريف بالمسرح المغربي سواء في أوروبا أو في العالم العربي. كان هاجسه الكبير منح المسرح المغربي هويته وخصوصيته التراثية والإسلامية دون الاستغناء عن روح العصر.

ثانيا- عز الدين المدني:

كاتب وباحث مسرحي ولد عام 1938 في تونس، رئيس تحرير صحفية العمل الثقافي ومجلة الحياة الثقافية، ومديراً لمهرجان مدينة الحمامات، مدير مهرجان أيام قرطاج السينمائية ومدير مهرجان الدولي لمدينة طبرقة، ومدير مهرجان أيام قرطاج المسرحية يشارك في العديد من المؤتمرات و الندوات ودوراتات المهرجانات المسرحية منها مهرجان مرح المغرب العربي، ومهرجان المسرح العربي بالرباط، ومهرجان المسرح في بغداد ومهرجان القاهرة للمسرح التجريبي ومهرجان دمشق المسرحي .

عضو لجنة التحكيم في مهرجان القاهرة للمسرح التجريبي 1998، وفي العديد من المهرجانات والمسابقات المسرحية والأدبية .ساهم في الموسوعات المسرحية منها المعجم الموسوعي الفرنسي كورفان باريس، قاموس الهيئة العامة المصرية للكتاب، المعجم الموسوعي الكندي .ترجم عدداً من المسرحيات إلى الانكليزية

والفرنسية والاسبانية .حصل على وسام الاستحقاق الثقافي، جائزة الدولة للأداب .أعماله المسرحية ثورة صاحب الحمار، ديوان الزنج، رحلة الحلاج، الغفران، تعازي فاطمية، مولاي السلطان الحسن الحفصي، التربيع والتدوير، الجمال والبنات، على البحر الوافر، حمودة باشا والثورة الفرنسية، قرطاج، كتاب النساء، شذرات السيرة الرشدية؟

أعد مسرحيات للمسرح منها روميو وجولييت، الفرس، ترجمة ريتشارد الثالث، كريولانس ترجمة وإعداد .. أعمال أخرى منها خرافات مجموعة قصصية، من حكايات هذا الزمان، العدوان (رواية).. الأدب التجريبي، رواد التأليف المسرحي في تونس، أبو القاسم الشابي.

و يرى عز الدين المدني ل النصوص التي كتبها لم تخنه وانه لم يخنها وانه اليوم يواصل سلالتها بكل حزم كأنه لم يكتب من قبل حرفا واحدا وافرد في كتابه فصلا لتاريخ المسرح التونسي ورواده كمحمد الجعايبي خليفة اسطمبولي ومحمد الحبيب واحمد خير الدين واحمد بليمان والبشير المتهني وحسن الزمرلي وحمادي الجزيري ومحمد بورقيبة وحبيبة مسيكة.

وعز الدين المدني هو قاص وروائي وناقد مسرحي قدم لتونس وللعرب مسرحا مختلفا معتمدا على حساسيتنا الخاصة من عاداتنا في الفرجة وتراثنا مؤسسا أعماله على مستوى المضمون الذي يضمن التفاعل بين المتفرج والعرض الذي يشاهده مسرحه مفتوح ويأخذ بعين الاعتبار الزمان والمكان الذي تتم فيه التجربة. ساهم في الحياة المسرحية وفي جوانب من الحياة المسرحية العربية والأجنبية تعاون مع مخرجين متعددين من تونس ومن العرب والأجانب لإخراج مسرحياته على امتداد أكثر من أربعين سنة وما زال يكتب إلى اليوم ومازال يتعاون مع المخرجين ويرافقهم في العمل والرؤيا الجمالية الملموسة على ركح المسرح يسدي لهم النصائح دون أن يهيمن برأيه على العملية الإخراجية.

ولد عز الدين المدني في أواخر ثلاثينيات القرن الماضي وله تكوين معمق في اللغتين العربية والفرنسية والآداب العربية والفرنسية ومعرفة واسعة بالآداب الأجنبية والفنون الغربية منها والشرقية. وله أيضا تكوين في العلوم الإنسانية والاجتماعية وفي الفلسفة وفي فن السينما. كتب أكثر من ألف مقال في التنظير والنقد الأدبي والمسرحي والسينمائي والتشكيلي.

كرم في مهرجان القاهرة للمسرح التجريبي سنة 1994 وتم انتخابه احد أربعة كتاب مسرحيين مهمين أحياء وهم انجي جيمبينسكي من بولونيا وفولكر براون منالمانيا وشوزو ساتو من اليابان الدولي. وهو حاصل على جائزة سلطان بن علي العويس في فنون القصة والرواية والمسرحية جميعا سنة 2006.

كتب 40 مسرحية تم إنتاج وإخراج 27 من بينها وله 13 مسرحية تبحث إلى اليوم عن منتج ومخرج وممثلين مكتوبة باللهجة التونسية ك "التشريبكة" و"التفدليكة" و"الله ينصر سيدنا" و"الخبر اليقين" و"الهلالية "

و"تدريبات ركحية على مسرحية شهداء الوطنية والملك الشهيد" و"الملك لير" و"ياحسرتي عليك يا اثينا "و"قاليلي (ترجمة عن براشت) و"اغتيال في الكاتدرالية" لجان انوي و"ولادة ووليد... وبعد ماذا ؟."

احتوى الجزءان من كتاب "مسرح عربي منير" لعز الدين المدني الى جانب الوثائق التاريخية المهمة عن مسيرة الرجل واهم مراحل تطور المسرح في تونس على عدد من الصور النادرة لمثقفي تونس ما بعد الاستقلال واهم رموز المسرح مما يجعله وثيقة يمكن اعتمادها للحديث عن المسرح التونسي .في انتظار ان يصدر الجزء الثالث الذي سيتناول فيه المدني حياته المسرحية خارج تونس وعلاقاته بكبار الفنانين العرب الذين قدموا الكثير من الحب لتونس ولمسرحها ومن بينهم الفراد فرج وعبد العزيز سريع وسمير العصفوري وعبد الكريم جواد ومحفوظ عبد الرحمان .